جامعة عين شمس
كلية الألسن
قسم اللغة العربية

رسـالة دكـتوراه

بعنوان

قضية السرقات الشعرية عند السري الرفاء
دراسة نقدية في ضوء مفاهيم نظرية التناص

مقدمة من الباحث
أحمد حسـن عبد الغني
المـدرس المسـاعد بالقسـم

إشـراف

أ.د/ نجوى عمر كامل
أستاذ الأدب والنقد بالقسم

أ.د/ عبد المعطي صالح
أستاذ الأدب والنقد بالقسم

جامعة عين شمس
كلية الألسن
قسم اللغة العربية

ملخص رسالة دكتوراه

بعنوان

قضية السرقات الشعرية عند السري الرفاء

دراسة نقدية في ضوء مفاهيم نظرية التناص

مقدمة من الباحث

أحمد حسـن عبـد الغنـي

المـدرس المسـاعد بالقسـم

إشراف

أ.د/ نجوى عمر كامل
أستاذ الأدب والنقد بالقسم

أ.د/ عبد المعطي صالح
أستاذ الأدب والنقد بالقسم

الملخص العربي

الحمد لله الذي قال في كتابه العزيز: " رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري وأحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي".

والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، خاتم النبيين، الذي كان مولده حدا فاصلا في تاريخ البشرية، فأخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور.

وبعد؛ فهذا بحث بعنوان: قضية السرقات الشعرية عند السري الرفاء دراسة نقدية في ضوء مفاهيم نظرية التناص".

ولقد شغلت قضية السرقات الشعرية والأدبية عموما، بال كثير من النقاد العرب القدامى منهم والمحدثين، وكانت من الموضوعات التي أولاها النقاد كثيرا من عنايتهم، وكانت موضع اهتمامهم، وجعلوها نصب أعينهم، إذ كان من أهم الأهداف التي دعتهم للتوقف أمام هذه القضية والتعمق في دراستها هي الوقوف على أصالة العمل الأدبي، وصحة نسبته إلى صاحبه، **وقدار** ما جاء فيه من أفكار إبداعية جديدة، ليتبينوا المبتدع من المتبع، ولإظهار جوانب الاتفاق والاختلاف، من خلال الوقوف على المعاني والأفكار والألفاظ والأسلوب بين شاعر وآخر.

وأصبحت قضية السرقات الأدبية من الأبواب الثابتة في كثير من كتب النقد الأدبي لا يكاد يخلو منها أي كتاب.

ولقد أردنا في هذا البحث الجمع بين مفهومين بينهما علاقات ووشائج، مفهوم السرقات الشعرية بمفهومه العربي المتوارث، ومفهوم التناص وهو المفهوم الغربي الحديث. وهي محاولة لربط الحديث بالقديم وعدم قطع الصلة بالماضي .

وقد جاء هذا البحث في بابين، قد سبقا بمقدمة وتمهيد، وعلى هذا نستطيع أن نقول إن هذه الدراسة **قد اشتملت على:**

المقدمة:

وفيها الحديث عن موضوع البحث، وسبب اختياره، والأهداف التي يرجى تحقيقها، والمنهج **المتبع في الدراسة.**

التمهيد:

وفيه التعريف بالشاعر موضوع الدراسة، **وقد اشتمل على:**

- مولده ونسبه .
- ثقافته ومكانته .
- الوظائف التي امتهنها.
- آثاره العلمية وتصانيفه.
- الرواة الذين **رووا** عنه .
- رحلاته في طاب الرزق.

- السري والخالديان.
- **السري والخمر.**
- عقيدة السري .
- شعر السري في عيون النقاد.
- وفاته.

الباب الأول: السري والسرقة

وقد اشتمل على فصول أربعة:

١- الفصل الأول:

السرقات نظريا, ويشمل:

معنى السرقات الشعرية لغة واصطلاحا، وتاريخها وكيف تناولها النقاد والأدباء، ومفهومها وأهم أشكالها وأنواعها.

٢- الفصل الثاني :

تحليل ومناقشة سرقات السري التي أوردها الثعالبي في مصنفه: "يتيمة الدهر".

٣- الفصل الثالث:

تتبع سرقات السري من الشعراء السابقين عليه أو المعاصرين له وتحليلها .

٤- الفصل الرابع:

تتبع سرقات الشعراء اللاحقين من شعر السري الرفاء وتحليلها.

الباب الثاني: التناص .

وقد احتوى على فصول ثلاثة:

الفصل الأول: التعريف بنظرية التناص:

وقد تناولنا في هذا الفصل النقاط التالية:

- تكوين المفهوم .
- الأسس التي بنيت عليها.
- أهم مقولاتها.
- علاقة التناص بـمفهوم السرقات القديم.

الفصل الثاني: التناص الديني.

وقد درسنا فيه النقاط الآتية:

- التناص مع القرآن الكريم .
- التناص مع قصص الأنبياء وأخبارهم.
- التناص مع الحديث النبوي الشريف.

الفصل الثالث: التناص في توظيف الشخصيات التراثية.

وقد تعرضنا فيه للقط الآتية:

- آليات استدعاء الاسم : العلم (الاسم الصريح).
- آليات استدعاء الاسم : الكنية.
- آليات استدعاء الاسم : اللقب.
- آليات استدعاء : بالقول.
- آليات استدعاء : بالدور.

ثم جاءت الخاتمة أخيرا تلخص ما وصل إليه من نتائج، وما يوصي به من آراء ومقترحات.

وبعد هذا العرض الموجز لهذا البحث العلمي, فإني أرجو من زملائي الباحثين أن يوجهوا اهتمامهم للعمل في مجال الأدب القديم، بأسلوب ومنهج ونظرة جديدة تستخرج من تراثنا مايكنه من كنوز ما زال بعضها مجهولاً.

ولا يسعني في الختام إلا أن أرفع يدي داعيا مولاي عز وجل أن يجعل هذا العمل مقبولا، خالصا لوجهه الكريم، وأن يتجاوز سبحانه عما فيه من خطأ أو زلل فهو علام الغيوب ستار العيوب.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
• المقدمة	أ - ح
• التمهيد: التعريف بالشاعر موضوع الدراسة.....	١- ٣٢
• الباب الأول: السرقات الشعرية.....	٣٣- ١٤٤
• الفصل الأول: التعريف بالسرقات.....	٣٣ - ٥٢
• الفصل الثانى: السري والسرقة(من كتاب يتيمة الدهر).....	٥٣ - ٧٩
• الفصل الثالث: سرقات السري ممن سبقه من الشعراء.....	٨٠ - ١١٢
• الفصل الرابع: سرقات الشعراء اللاحقين من شعر السري الرفاء..	١١٣- ١٤٤
• الباب الثاني: التناص.....	١٤٥ - ٢٣٠
• الفصل الأول: التناص نظريا.....	١٤٥ - ١٧٢
• الفصل الثاني: التناص تطبيقيا.....	١٧٣- ٢٢٩
• الخاتمة	٢٣٠ - ٢٣٢
• قائمة المصادر والمراجع	٢٣٣- ٢٤٠

السري الرفاء

نبدأ ههنا بعد طلب العون من الله في الاقتراب أكثر من شاعرنا موضوع الدراسة، لنتعرف عليه أكثر وأكثر، ولنكون له صورة تعيننا من الاقتراب من عالمه الذي عاش فيه، وخصوصيته التي انماز بها، وحياته التي أثر فيها، وأثرت فيه، ليُخرج لنا إنتاجه الشعري الضخم الذي سنتناوله فيما بعد بالدرس والبحث.

اسمه ونسبه:

هو:السرّي بن أحمد بن السرّي الكندي الموصلي.

ويكنى بأبي الحسن. ويلقب بالرفاء .

أما معنى اسمه "السري": فكما ورد في لسان العرب مادة (سرا): السَّرْوُ: المُروءَةَ والشَّرَفُ ، سَرُوَ يَسْرُو: أي صار سَرِياً. قال الجوهري: السَّروُ سَخاءٌ في مُرُوءَةٍ وسَرَا يَسْرو سَرْوا وسَرِيَ يَسْرَى إذا شَرُفَ. ويقال سَرَا يَسْرُو وسَرِيَ أي صارَ سَرِياً، ورجل سَرِيٌّ من قوم أسْرِياءَ وسُرَوَاءَ، وقولهم: قومٌ سراةَ جمعُ سَرِيٌّ جاء على غير قياس أن يُجْمَع فَعِيلٌ على فَعَلَة قال ولا يُعرَف غيره. وفي الحديث، حديث أمّ زرع: فَنَكَحْتُ بعدَهُ سَرِيّاً أي نَفِيساً شَرِيفاً وقيل سَخِياً ذا مُرُوءَة . وسَرَاةُ المالِ خِيارُه الواحد سَرِيٌّ يقال بعيرٌ سَرِيٌّ وناقة سَرِيَّة واسْتَرَيْت الإبلَ والغَنَمَ والناسَ اخْتَرْتهم .

أما الكندي: فلأنه عربي ينتسب إلى قبيلة كندة العربية، التي نزلت شمالي الجزيرة العربية، ولم يشكك أحد من الرواة في نسبه هذا، بل إن الثعالبي وغيره يذكر هذا نصا فيقول: "السري بن أحمد الكندي..."[1] حتى إننا نلمس في شعره فخره بنسبه هذا، نراه يقول مفتخرا:

وملـــوكَ كِنْـــدَةَ حَـــطَ عـــن ... تلـــك الأسِـــرَّةِ والقَـــرابِس

وكـــذاك أطفـــأ مـــن أبـــي ... قـــابوسَ جَمـــرَةَ كـــلّ قـــابِس

إنـــي لِمِـــنْ قَـــوْمٍ مَضَـــوا ... شَـــمَّ المـــآثرِ والمَعـــاطِسْ[2]

---

١. يتيمة الدهر، الثعالبي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ص ١١٧، ج٢ ، وانظر الفهرست لابن النديم، شرح يوسف الطويل ص٢٧٨ وغيرها من الكتب التي تناولت حياة السري.

٢. ديوان السري الرفاء، عن نسختي الأديبين الكبيرين تيمور باشا والبارودي باشا، ص ١٥٢، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١.

أما الموصل الواقعة في شمالي العراق فقد كانت دار إقامته الأولى، ففيها ولد وعلى أرضها نشأ وترعرع، يقول ابن النديم عنه:" السري بن أحمد من أهل الموصل..."[٣] ويظهر من شعره أنه كان يحب مدينته حبا كبيرا، ويذكر اشتياقه وحنينه إليها بعد أن غادرها، وعبر عن هذا الاشتياق في أكثر من قصيدة له نراه يقول:

تَـــذكَّرَ أيامَـــه الخالِيـــه فمـــا رَقَـــأت عَبـــرةَ جَاريـــه
فسَـــقيا لملعـــبِ غِزلانِهـــا وأعظـــمِ رُهبانِهـــا البَاليـــه
إذا غنَـــتِ الطيـــرُ فيهـــا ضُـــحىً حَسِـــبْتَ القِيـــانَ بهـــا شَـــاديه
لَقِيـــتَ ســـروري بهـــا كـــاملاً وصـــافحْتَ كأســـي بهـــا وافِيـــه[٤]

ويقول مقارنا بين أيامه فيها، وأيامه في بغداد بعد أن تغير فيها حاله وانقلبت عليه:

لحـــى اللهُ العِـــراقَ وســـاكِنيهِ فمـــا للحُـــرِّ بيـــنَهُمُ قَـــرارُ
وجـــادَ المَوصِـــلَ الغَـــرَّاءَ غَيْـــثَ يَجـــودُ وللبـــروقِ بـــه انســـفارُ
كمـــا انهلَـــتّ مَـــدامِعُ مُســـتَهامٍ تلهَّـــبُ منـــه فـــي الأحشـــاءِ نـــارُ
ففـــي أيامِهـــا حَسُـــنَ التَصـــابي وفـــي أفيائِهـــا خَلِـــعَ العِـــذارُ

وفي الموصل كان عمله الأول الذي اشتهر به، وبه اكتسب لقبه الذي صار ملازما له، وأصبح معروفا به، فالمصادر تذكرلنا أن السري قد نشأ لأسرة فقيرة متواضعة مما جعل أباه :" يسلمه صغيرا إلى الرفائين في سوق البزازين بالموصل، فتعلم صناعة الرفو والتطريز"[٥]. ليتكسب منها ويعيش مما تدره عليه حتى ولو كان كفافا، والواضح أنه استمر في هذا العمل إلى أيام شبابه الأولى[٦] . إلا أنه لم يطق أن يستمر في هذه الصنعة لمدة أطول من ذلك، وذلك لقلة غلتها، وضآلة شأنها بالنسبة له، نراه يقول واصفا حياته في هذه المهنة:

يُنبيـــكَ عـــن صِـــحَّةِ أخبـــاري عُســـري مـــن العِشـــقِ وإيســـاري

---

٣. الفهرست السابق، الصفحة نفسها.

٤. الديوان، ص ٢٨٢. بالإضافة إلى كثير من القصائد التي يذكر فيها الموصل ويتشوق لها، انظر الديوان ص٩٧، وص ١٢٩، وص ١٨٦، وص ٢٠٢، وص ٢٧٩.

٥. تاريخ الأدب العربي، الأعصر العباسية، عمر فروخ،ص٥٠٩ وما بعدها، ج٢، دار العلم للملايين، بيروت.

٦- يتيمة الدهر، ص ١١٧، ، ج٢ ، وانظرتاريخ الأدب العربي، بروكلمان، أشرف على الترجمة د.محمود فهمي حجازي، ص٤١٦، القسم١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣ .

وسُـــوقَةٌ أفضـــلَهم مُرتَـــدٍ نَقَصـــاً ففخـــري بيـــنَهم عـــاري
وكانـــتِ الإبـــرَةَ فيمـــا مضَـــى صـــائنةً وجهـــي وأشـــعاري
فأصـــبحَ الـــرِّزقُ بهـــا ضـــيِّقاً كأنَـــه مـــن ثقبِهـــا جـــاري[٧]

مولده:

لم تذكر المصادر التاريخية التي بأيدينا ـ قدر علم الباحث ـ تاريخا محددا لولادة شاعرنا السري، بل إن شوقي ضيف يقول نصا:" ولا يعرف تاريخ مولده..."[٨] ولكنا نستطيع أن نعرف أنه من أبناء القرن الرابع الهجري، ويحاول د. حبيب حسين الحسني محقق الديوان أن يقربنا أكثر من تحديد أكثر دقة وقربا لولادة السري وذلك من خلال استقراء شعر السري نفسه واستنطاق النصوص الشعرية ذاتها نراه يقول:" لقد ولد السري في السنوات العشر الأولى من القرن الرابع الهجري في مدينة الموصل حيث كان يسكن والداه ولم تذكر المصادر جميعا سنة ولادته أو تحديدها ولكنا استطعنا أن نحددها بالتقريب مستعينين ببعض النصوص والمقاربات التاريخية، ففي إحدى قصائده التي مدح بها الوزير المهلبي ببغداد يذكر أنه جاوز الأربعين من عمره وأن أيام صباه وشبابه قد فاتت وتولى بها الدهر فيقول:

سَـــلامٌ علـــى الأيـــامِ تَبـــيَضَّ بينَهـــا صَـــنائعُ مُســـوَدّ العِـــذارِ شَـــفيعُها
تَلَفَّـــتَ بعـــدَ الأربعـــينَ وأســـرَعَت عِجـــالاً فلـــم يَربَـــعْ علـــيَّ رَبِيعُهـــا

فالبيت الثاني يدل على أن عمره جاوز الأربعين عندما نظم هذه القصيدة ... ونستطيع أن نقول إنه قصد المهلبي في أواخر سنة ٣٤٩هـ وأوائل سنة ٣٥٠هـ ..."[٩] .

كذلك لم يذكر الرواة شيئا عن أسرته التي ربي فيها فلا نكاد نعرف شيئا عن أبيه سوى اسمه ولا عن أمه، وكذلك فإننا لا نعرف شيئا عن زوجه ولا عن أولاده، صحيح أنه كان يكنى بأبي الحسن كما مر بنا فربما كان له ولد اسمه الحسن، وإن كانت كنيته هذه ليست دليلا قاطعا على أنه أنجب ولدا اسمه الحسن، فإن العرب كانت

---

[٧] . الديوان، ص ١٤٠.

[٨]. تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، العراق، د/شوقي ضيف، ص٣٦٥، ج٥، ط٣، دار المعارف، القاهرة.

[٩]ـ ديوان السري الرفاء النسخة المحققة ، ت: د. حبيب حسين الحسني، ص٢٢، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، سلسلة كتب التراث رقم (١٠٣)،١٩٨١ .

تحب أن تكتني وربما بأكثر من كنية دون أن يكون لزاما أن تكون كنيتهم وفقا لاسم أولادهم.

ولم نعرف للشاعر أنه قد عشق واحدة بعينها كما عشق بعض الشعراء من قبل ولم نجد في ديوانه شعرا يوضح ذلك"[١٠].

وأنا أرى أن قلة المعلومات التي حملتها لنا كتب التاريخ والسير عن حياة السري الرفاء وبخاصة في مراحل سنه الأولى راجع إلى تواضع أسرته وفقرها، فلم يكن لها شأن يذكر ليلفت اهتمام الرواة بتتبع حوادثها، وذكر أفعال أفرادها وأعمالهم. ولم يسلط الضوء إلا على فرد واحد من أفراد هذه الأسرة وهو بالطبع شاعرنا السري، ولم يكن تسليط الضوء هذا إلا بعد أن نبغ وانتشر صيته وعرف في الأوساط الأدبية ، وليس في بدايات حياته ولذا غابت كثير من المعلومات عن نشأته الأولى وعن أحوال أسرته.

ومما يذكره الرواة عن حياته الأولى والخاصة ببدء تلقيه رافده الثقافي الأول، وبداية ركائزه العلمية والثقافية، فعلى الرغم من فقر أسرته التي اضطرته أن يخرج لسوق العمل منذ نعومة أظفاره: "فإنه قد درس القرآن الكريم في الكتاب، وتعلم شيئا من النحو واللغة والأدب والحديث، وأخذ يتولع بالأدب فيحضر مجالس الأدباء والشعراء، ويقرأ الشعرويتذوقه ويحفظه، ولم تمض فترة طويلة حتى بدأ ينظمه ويجيد فيه"[١١] ، هذا بحسب تعبير محقق الديوان، وبحسب تعبير شوقي ضيف يقول: " ويبدو أنه تعلم القراءة والكتابة في صباه، وحفظ القرآن أو بعضا منه، واستظهر بعض الشعر..."[١٢] .

ويضيف لنا فؤاد سزكين معلومة مفيدة عن اسم أستاذ من أساتذة السري الرفاء الذي تعلم منه الشعر، وذكروا أن السري قد سرق شعره فيقول : " وقد قيل إنه سرق أيضا شعر أستاذه أبي منصور بن أبي براك"[١٣].

---

١٠ . الديوان النسخة المحققه، ص ١١٩.

١١- ديوان السري المحقق، ص٢٤.

١٢. تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، ٣٣٦.

١٣- تاريخ التراث العربي ، فؤاد سزكين، نقله إلى العربية:د.عرفة مصطفى، ص ٢٣٢، المجلد الثاني، ج ٤، ١٩٨٣. وأبو منصور بن أبي براك هذا أستاذ السري بن أحمد الكندي شاعر مجود، ويقال إن السري سرق شعره وانتحله والذي رأيت منه نحو مائتي ورقة كما وردت ترجمته في الفهرست ص ٢٧٧.

الوظائف التى امتهنها:

وهي بالترتيب التاريخي كما يلي:

المهنة الأولى:

التي بدأ بها السري كانت كما مر بنا هي مهنة الرفو وتطريز الثياب، ورأينا أن السري عندما شب قد مل هذه المهنة، وضاق بها ذرعا، ورأى أنها لا تصلح له، ولم يعد هو صالحا لها، وطلقها طلاقا بائنا لا رجعة فيه، ولم يعد إليها مرة أخرى في أي فترة من فترات حياته التالية. فحاله فيها يصدق فيه قول الباخرزي حيث يقول:" وأما السري فكان يُطرّي الخلق ويَرْفو الخِرَق ويصف تلك العِبرة ويزعم أنه يسترزق بالعبرة. وكيفما كان فهذه حِرفة لا تخلو من حُرفة وصنعة لا تنجو من ضرعة وبضاعةٌ لا تسلم من إضاعة ومتاعٌ ليس به لأهله استمتاع"[١٤].

والمهنة الثانية ـ وربما كانت بعد الأولى مباشرة أو معها ـ :

وهي التي ذكرها محقق ديوان السري، وهي من استنباطه الخاص من خلال استقراء ديوان الشاعر هي مهنة صيد السمك، نراه يقول:" وعلى هذا قد فضل أن يبحث له عن عمل آخر، ولعل هذا العمل كان صيد الأسماك... وكان في كثير من الأحيان يرسم لنفسه صورة الفتى الفقير المعدم الشاحب الأعضاء واللباس لكثرة ما خرج بحثا عن الرزق في سبيل الحصول على قوته بشبكة غبراء عتيقة..." [١٥]. ولكن اختلف معه فيما ذهب إليه، فليس كل من وصف أدوات الصيد، وذكر أنه قد اصطاد دل ذلك على أنه امتهن هذه المهنة، ثم إنه ذكر في ديوانه وأكثر من وصف كلاب الصيد هل معنى هذا أنه كان يمتهن صيد الحيوانات!!! الحقيقة إنني لا أرى في ذلك دليلا على قيامه بهذه المهنة، ثم إنه لا أحد من الرواة قد ذكر هذه المهنة، ولا أشار إليها واحد ممن سجلوا ترجمة لحياة السري.

أما المهنة الثالثة:

والمعلومات تشير أنها كانت بعد المهنة الأولى مباشرة فكانت التكسب بقول الشعر، وقرض القريض وهذا ما أشار إليه الثعالبي حيث يقول:" فكان يرفو ويطرز إلى أن قضى باكورة شبابه، وتكسب بالشعر ...ولما جد السري في خدمة الأدب وانتقل عن

---

١٤. دمية القصروعصرة أهل العصر، الباخرزي، ص٨٢، ج١.

١٥ . ديوان السري المحقق، ص ٢٤.

تطريز الثياب إلى تطريز الكتاب فشعر بجودة شعره..."[١٦]. ويقول شوقي ضيف: " وأجمع عزمه على أن يهجر حرفة الرفو والتطريز إلى حرفة الأدب والشعر"[١٧]. وهذه المهنة كانت النقطة الفارقة في حياته، إذ بدأت تتغير أحواله من فقر وعوز إلى حياة الرفاهية، ومن رقة الحال وخمول الذكر إلى مصاحبة الملوك والأمراء والأعيان وذيوع الصيت.

ولقد كانت بداياته في التكسب بالشعر لا تدر عليه كثيرا من الأموال، فيروي لنا ابن العديم هذا الخبر عن بدايات تكسبه بالشعر، وأنه اقد أخذ أجرا قليلا يقول: " قال لي ياقوت: ونقلت من خط المُحَسِّن بن إبراهيم الصابئ ، حدثني السري بن أحمد قال: مدحتُ في الحداثة رجلاً، فدفع لي شيئاً قليلاً وأنشدني بديهاً[١٨]:

أَسَـــــرِيّ شـــــعرك بـــــارد يـــوفى علـــى بـــرد الـــدَّمَق
فـــإذا حُيِيـــت فـــلا تمـــاكس خـــذ ولـــو ثمـــن الـــورق

ويقول ياقوت الحموي: " ولم يزل السري في ضنك من العيش حتى خرج إلى حلب واتصل بسيف الدولة وأقام بحضرته، فاشتهر وبعد صيته، ونفق سوق شعره عند أمراء بني حمدان ... وغيره من الأعيان فارتفق وارتزق وحسنت حاله وسار شعره في الآفاق"[١٩]. وإلى هذا يشير السيد الامين الذي قال في الأعيان ج ٣٤ ص ٣٥ مسجلا هذه الملحوظة المفيدة: "العلم والأدب يرفعان الوضيع في نفسه وصنعته ومكسبه ونسبه وفقره وخصاصته، والجهل يضع الرفيع في نسبه وعشيرته ومنصبه وغناه وثروته عند أهل العقل ، ...فالسري الرفاء ينتقل من صنعة الرفو والتطريز عند أحد الرفائين بأجرة زهيدة، وعيش ضنك إلى مدح الملوك والوزراء والأمراء فيأخذ جوائزهم النفيسة، ويؤلف في الأدب كتاب: المحب والمحبوب والمشموم والمشروب، ولا شك أن للزمان والبيئة التأثير العظيم في ذلك، فالسري الرفاء وجد في دولة بني حمدان وعلى رأسهم سيف الدولة الذي اجتمع ببابه من الشعراء والأدباء

---

١٦. يتيمة الدهر، ص ١١٧، ١١٨، ج ٢.

١٧. تاريخ الأدب العربي، ص ٣٦٣ .

١٨. بغية الطلب في تاريخ حلب، ابن العديم، ص ٢٣٥، ج ٤، شبكة الوراق من شبكة الإنترنت.

١٩. معجم الأدباء، ياقوت الحموي، راجعته وزارة المعارف العمومية، ص ١٦٤، ج ١١.

ما لم يتفق لغيره ويتلوه أمراء بني حمدان الكثيرو العدد الذين مدحهم السري وأخذ جوائزهم النفيسة"[٢٠] .

أما المهنة الرابعة:

وهي المهنة الأخيرة التي امتهنها السري فكانت الوراقة[٢١]، ونسخ الكتب، ولأن الدنيا لا تدوم على حال فقد تبدلت حياة السري مرة أخرى وعاد إلى سابق عهده وذلك بعد أن سعى الخالديان لدى سيف الدولة أن يقطع عطاءه عنه، وأبعداه عن مجالس الكبراء، فضاقت دنياه بحيث اضطر إلى كسب قوته من نسخ الكتب وبيعها، ونسخ

٢٠- نقلا عن أدب الطف أو شعراء الحسين، من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر، جواد شبر، ص٢٩٠، ج ٣، ط١، مؤسسة التاريخ، بيروت ٢٠٠١ .

٢١ الوِرَّاقة لغةً الوَرَقُ : ورق الشجرة والشوك والورقُ من أوراق الشجر والكتاب، والواحدة وَرَقةُ. والشجر يرق ورقا: ظهر ورقه ومثله: وَرَّق وأورق.

واصطلاحا: لفظ الوراقة، مشتق من الورق وأطلقت كتب الأدب العربى على الطائفة التى تولّت أمر هذه الصناعة اسم الوَرَّاقين وعَرَّف ابن خلدون فى مقدمته الوراقة بأنها: معاناة "الانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتبية والدواوين، واختصت بالأمصار العظيمة العمران. وقال السمعانى الوَرّاق: بفتح الواو وتشديد الراء وفى آخرها القاف، هذا اسم لمن يكتب المصاحف وكتب الحديث وغيرها. وقد يقال لمن يبيع الورق الكاغد ببغداد: الوراق أيضاً . وقد مارس مهنة الوراقة إلى جانب الوراقين المحترفين عدد كبير من العلماء والأدباء والمحدثين والمفسرين وعلماء اللغة.فقد ورد ذكر من تكسب من الوراقة مثل القاضى أبو عبيد على بن الحسين بن حرب البغدادى وهناك من اشتكى من الوراقة لكساد سوقها وخلو طريقها، حتى إن أبا حيّان التوحيدى قال عنها: "حرفة الشُّؤم " رغم اعترافه بأن سوق الوراقة لم تكن ببغداد كاسدة.ولذلك نلاحظ أن الوراقة كحرفة لم تكن تُغْرى كثيرا من الناس، فلم يكن يُقْبل عليها إلا المشتغلون بالعلم أساتذة وطلابًا، وهناك من النساخ من زهد فى الوراقة فكان إذا حصل على قوته لا يتجاوزه. كشيخ الإسكندرية تاج الدين على بن أحمد الغراف.وهناك من اتخذ من مهنته وسيله لتفضيل شاعر على آخر كما فعل الموصلى الشاعر الذى قال عنه ياقوت اشتغل بالوراقة فكان ينسخ ديوان شعر كِشَاجم وكان مغرى به، وكان يَدُسُّ فيما يكتبه منه أحسن شعر الخالدين ليزيد فى حجم ما ينسخه وينفُق سوقه ويُشَنِّع بذلك على الخالديين لعداوة كانت بينه وبينهم. وكان لكبار المؤلفين فى القرون الأولى للإسلام وَرَّاقون يتولّون نسخ مؤلّفاتهم وتوزيعها وهو ما يعادل مهمة الناشرين فى العصر الحديث. ويتولّون كذلك تحصيل مايريدونه من كتب وأجزاء وتجليدها. المرجع: موسوعة المفاهيم، من موقع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف بجمهورية مصر العربية، والعنوان الإلكتروني لهذا للموقع هو: http://www.elazhar.com/mafaheemux/28/7.asp

دواوين الشعر، فكان ينسخ ديوان شعر كشاجم إذ كان معاصروه يقبلون عليه إقبالا شديدا، ويعيش بما يأخذ من أجرة نسخه، ويورق شعره ويبيعه، ثم نسخ لغيره بالأجرة، وركبه الدين حتى مات ببغداد على هذا الحال.

رحلاته في طلب الرزق:

انتقل السري بين أكثر من بلد طالبا للرزق، فمن هذه البلاد:

١ـ حلب:

يخرج السري من الموصل قاصدا سيف الدولة الحمداني الذي أكثر من مدحه، يقول شوقي ضيف :" ويسمع ـ السري ـ بما ينثره سيف الدولة في حلب من عطايا وأموال على الشعراء، فيشد رحاله إليه وقد أكرم وفادته عليه، فأقام بحضرته"[٢٢].

وكان لدخوله على سيف الدولة قصة يرويها ابن العديم يقول: " ولقد قدم حلب ومدح بها الأمير سيف الدولة أبا الحسن علي بن عبد الله بن حمدان في سنة خمس وأربعين وثلاثمائة، وبلغني أنه لما قدم حلب، قاصداً سيف الدولة بن حمدان، وقف على بابه يلتمس الوصول إليه، وعلى بابه جماعة من الشعراء، قد كتبوا إليه رقعة، يسألونه فيها أن يسمع أشعارهم، فوقع فيها: أنتم غثاء، فقال السري وأنفذها إلى سيف الدولة:

هـــذا اليقـــين المحـــض لا التـــوهم
هـــم غثـــاء أحـــوى ولســـت مـــنهم
وللقـــــوافي مجهـــــل ومعلـــــم
وهـــنّ إمـــا صـــارم أو لهـــذم
تكـــاد تجـــري مـــن حواشـــيه الـــدم
وأنـــت بـــالجود لهـــا مســـتلثم
إذ كـــل مـــن همـــت بـــه مستســـلم
يـــا بـــن أبـــي الهيجـــاء أنـــت العلـــم
أنـــاف حتـــى كللتـــه الأنجـــم
مـــن الغمـــام الجـــود أنـــت أكـــرم
ومـــا الظبـــى عزمـــك منهـــا أصـــرم
الشّـــعر كـــالحلي وأنـــت معصـــم

٢٢ ـ تاريخ الأدب العربي، ص ٣٦٣.

منـــــه الجنـــــي الحلـــــو ومنـــــه العلقـــــم
لا يســـــــتوي فصـــــــيحه والأعجـــــــم
يومـــــــــاً ولا دينـــــــــاره والـــــــــدرهم

فدعاه دونهم وسمع منه"[٢٣]. ولقد أكثر السري في مدحه لسيف الدولة وله فيه قصائد رائعة منها قوله مثلا:

حَمَيْـتَ يـا صـارمَ الإسـلامِ حوزتَـه بصـارمِ الحـدِّ حتـى عَـزّ جانبُـه
أنـت الغَمـامُ الـذي تَخشـى صـواعقه إذا تَنمَّـرَ أو تَرجـى مواهبُـه

بالإضافة إلى كبار أمراء بني حمدان وأعيان أهل الشام كالأمير حرب بن سعيد بن حمدان الذي مدحه الشاعر بعدة قصائد، وبعد وفاة سيف الدولة انتقل السري بعدها إلى مدينة بغداد.

٢- بغداد:

وفيها مدح الوزير المهلبي الذي وليه برعايته، واتصل الشاعر في هذا الوقت بكبار بغداد وصدورها من الكتاب وأصحاب الدوواوين يمدحهم وينال جوائزهم .

فنراه يقول مادحا للوزير المهلبي:

لنـا مـن الـدّهرِ خَصْـمٌ لا نَغالبُـه فمـا علـى الـدهرِ إنْ ولـتَ نوائبُـه
يرتـدّ عنـه جريحـا مـن يُسَـالِمُه فكيـفَ يَسْـلمُ منـه مـن يُحارِبُـه

والذي يظهر لنا أن حياته الأولى في بغداد كانت هانئة، وكان فيها سعيدا يشعر برعاية واهتمام الوزير المهلبي، ويشكر له ما يغدقه عليه من عطايا وهبات، وكذا الحال مع رجالات بغداد وأكابرها، ولذا نراه يذكر بغداد ويدعو لها بالسقيا يقول:

إذا سَـقى اللهُ مَنْـزِلاً فسـقَى بغـدادَ مـا حاولـتَ مـنَ الـدّيَمِ
يـا حَبَّـذا صَـحبةُ العلـومِ بهـا والعـيشُ بـين اليَسـارِ والعَـدَمِ

آثاره العلمية:

---

٢٣. بغية الطلب في تاريخ حلب، ص ٢٣٣.